Al-Adab Journal Issue. No (155) Supplement (December) 2025
E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

The Reformist and Economic Role of Jean-Baptiste Colbert in France Until 1683

Lect. Ahmed Abood Abdullah (Ph.D.)
University of Kirkuk / College of Education
ahmed-abood@uokirkuk.edu.iq
https://orcid.org/0009-0006-9196-2425

Copyright (c) 2025 **Lect. Ahmed Abood Abdullah (PhD)**

DOI: https://doi.org/10.31973/3x2chs28

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

Abstract:

Jean-Baptiste Colbert was an important French figure in the seventeenth century. He served as Controller General of Finances (1661-1683) and Secretary of State for the Navy (1668-1683) under King Louis XIV. Before his death, Cardinal Mazarin recommended him to King Louis XIV, who quickly gave Colbert his confidence. From then on, Colbert devoted his enormous capacity for work to serving the king in his private affairs and in the general administration of the kingdom. Despite the difficulties that Colbert faced in the financial extravagance of King Louis XIV, he was able to maintain France's financial capacity and implement an economic reconstruction program that helped make France the dominant power in Europe, contributing greatly to France's rise on the international scene.

After the death of Mazarin, Colbert became a lieutenant to King Louis XIV. His first act was to reform the state finances. He dismissed from service anyone known for treason in collecting taxes, imposed indirect duties on goods so that the burden of taxes would be distributed among all classes, not just the general class. He reduced direct taxes on land to ease the financial burden on farmers, encouraged animal husbandry, repaired roads and means of transportation, and paid great attention to economic activity by promoting trade and industry. He rewarded inventors and provided grants to those who embarked on new commercial projects. He also encouraged foreign workers to work in France.

Colbert was also a proponent of mercantilism and believed that if France wanted to become a rich country, it had to sell more to nations than it bought from them, by increasing local products and reducing imports. To achieve this goal, he encouraged local manufactures and products, and imposed taxes on imported goods. He believed that the colonies had great commercial value and could be a lucrative market for French manufactures.

Keywords: Colbert, Louis XIV, Louis' laws, mercantilism, Tay Tax

Al-Adab Journal Issue. No (155) Supplement (December) 2025
E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

الدور الإصلاحي والاقتصادي لجان بابتيست كولبير في فرنسا حتى عام ١٦٨٣

م.د. أحمد عبود عبدالله
جامعة كركوك / كلية التربية
ahmed-abood@uokirkuk.edu.iq
https://orcid.org/0009-0006-9196-2425

(مُلَخَّصُ البَحث)

يعد جان بابتيست كولبير من الشخصيات الفرنسية المهمة في القرن السابع عشر، فقد شغل منصب المراقب العام للمالية (١٦٦١-١٦٨٣) ووزير الدولة للبحرية (١٦٦٨-١٦٨٣) في عهد الملك لويس الرابع عشر، أوصى به الكاردينال مازارين قبل وفاته إلى الملك لويس الرابع عشر، الذي سرعان ما منح كولبير ثقته. ومنذ ذلك الحين، كرس كولبير قدرته الهائلة على العمل لخدمة الملك في شؤونه الخاصة وفي الإدارة العامة للمملكة، وعلى الرغم من الصعوبات التي واجهها كولبير في سياسة التبذير المالية للملك لويس الرابع عشر فقد استطاع من الحفاظ على قدرة فرنسا المالية كما ونفذ برنامج إعادة البناء الاقتصادي الذي ساعد في جعل فرنسا القوة المهيمنة في أوروبا، وأسهم بشكل كبير في صعود فرنسا على الساحة الدولية.

أصبح كولبير بعد موت مازارين ملازم للملك لويس الرابع عشر، وكانت باكورة أعماله إصلاح مالية الدولة، فقد طَرَدَ من الخدمة كل من عُرِفَ بالخيانة في جباية الضرائب، وفرض رسوماً غير مباشرة على البضائع حتى يتوزع عبء الضرائب على جميع الطبقات وليست الطبقة العامة، وخفف من الضرائب المباشرة على الأرض ليخفف العبء المالي على الفلاحين، وأصلح الطرق ووسائل المواصلات، وأوْلى عنايةً كبيرةً للحركة الاقتصادية بتشجيعه التجارة والصناعة، فأخذ يكافئ المخترعين، ويقدم المُنَح لمن يقدم على مشاريع تجارية جديدة، كما شجّع العمال الأجانب على العمل في فرنسا.

الكلمات المفتاحية: كولبير، لويس الرابع عشر، ضريبة التاي، قوانين لويس، المركنتلية.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

المقدمة:

شهدت فرنسا خلال حكم الملك لويس الرابع عشر في القرن السابع عشر العديد من التحديات والاصلاحات الداخلية، وكان جان بابتيست كولبير من الذين أسهموا بشكل كبير في تلك الاصلاحات، كما أوْلى عنايةً كبيرةً للحركة الاقتصادية بتشجيعه التجارة والصناعة، فأخذ يكافئ المخترعين، ويقدم المُنَح لمن يقدم على مشاريع تجارية جديدة، كما شجّع العمال الأجانب على العمل في فرنسا. أمَّا فيما يتعلّق بتشجيع التجارة داخل فرنسا، فإنَّه عمل على تسهيل انتقال البضائع بين أنحاء البلاد المختلفة، وذلك بتسهيل المواصلات الداخلية، وأسَّس المدارس والمستودعات، وأنشأ السفن الحربية، وأوْلى التعليم جانباً كبيراً من اهتمامه، فشجّع العلوم والفنون والموسيقى ودعم أكاديمية العلوم وبَنى المرصد الفلكي في باريس.

قسم البحث على مقدمة وثلاثة محاور وخاتمة وقائمة مصادر، تناول المحور الأول النشأة والتعليم، في حين تطرق المحور الثاني إلى دور كولبير في اصلاح النظام الاقتصادي في فرنسا ، وعالج المحور الثالث جهود كولبير في دعم الاقتصاد الفرنسي على الصعيد الدولي ، واستخدم الباحث العديد من المصادر التي تطرقت الى دور كولبير الاصلاحي الاقتصادي في فرنسا.

أولاً: النشأة والتعليم.

ولد جان بابتيست كولبير **Jean Baptiste Colbert** في ٢٩ آب/ أغسطس ١٦١٩ في مدينة رانس بفرنسا من أسرة كانت تعمل في التجارة ، كان والده نيكولاس كولبر دي فاندير **Nicholas Colbert de Vandières** تاجر نسيج في البداية ، لكنه ترك العمل في ذلك المجال وانتقل إلى باريس للعمل في التجارة ، اكمل كولبير دراسته في الكلية اليسوعية في باريس وبعد اكمال الدراسة عمل في مكتب مصرفي، وعندما بلغ العشرين من عمره عمل محاسب مالي في وزارة الحرب الفرنسية عن طريق النفوذ الذي امتلكه من خلال زواج أحد أعمامه من أخت ميشيل لوتريه**Michel Le Tellier** [1] ، وبذلك تمكن من الانخراط في البلاط الملكي.(Encyclopedia Britannica, 1910, p. 6/675)

[1] ميشيل لوتريه (١٦٠٣- ١٦٨٥): هو ابنا لقاض باريسي والده نائبا محامياً للملك لويس الرابع عشر، ولد في باريس هو الرجل الوحيد الذي لقبه لويس الرابع عشر باسم (السيد)، وكان بنفس عمر الملك لويس الرابع عشر واستحق لقب المخلص الذي لقبته به الملكة آن ومازارين كان يعرف كل شيء تقريبا عن القانون، وعن الشؤون العسكرية التي كانت تحت سيطرته وأشرافه لمدة أربعة وثلاثين عاماً، كما كان يشارك الشؤون الخارجية ، وفي عام ١٦٦٢ قام الملك بترقيته إلى عضو في المجلس الملكي. للمزيد ينظر:.(Levi, 2004, p. 94)

ثانياً: دور كولبير في اصلاح النظام الاقتصادي في فرنسا.

بعد بلوغ كولبير سن الثاني والثلاثون من عمره عمل كمدير مالي للكاردينال جول رايموند مازارين[٢] **Giul Raymond Mazarin** في القصر الملكي في باريس عام ١٦٥١، وبذلك فتحت له افاق جديدة فاصبح ذا نفوذ سياسي وتعرف على كبار رجال الدولة، اوصى مازارين قبل وفاته بكولبير، اصبح الاخير من ضمن الشخصيات المهمة في فرنسا اثناء حكم الملك لويس الرابع عشر **Louis XIV**[٣]، لاسيما بعد ان اثبت جداره وبرز اسم كولبير عقب اختفاء غريمه نيكولاس فوكيه **Fouquet Nicholas** [٤]، الذي كان مراقباً للمالية، وحصل فوكيه في عهد مازارين على ثروة طائلة (Lough, 2008, p. 223) ، مكنته من الحصول على نفوذ واسع ومقدرات كبيرة مما ولد له مطامع بالاستحواذ على العديد من الممتلكات، وقد رأى فيه الملك خطراً ، ولا سيما وأن مازارين كان قد سبق وحذره منه ، فصمم على التخلص منه وتآمر الملك لويس الرابع عشر ضده واعتقله بالخديعة وأرسله إلى السجن عام ١٦٦١، إذ قضى بقية حياته حتى مات (Reddaway, 2005, p. 271)، وعهد الملك لويس الرابع عشر بأمور فرنسا المالية إلى لجنة من خمسة أشخاص على رأسهم كولبير الى جانب دي ليون **de Lyonne** [٥] في الشؤون الخارجية، وميشيل

---

[٢] جول رايموند مازارين (١٦٠٢-١٦٦١) : كاردينالاً ودبلوماسياً وسياسياً إيطاليا ، عمل كدبلوماسي بابوي للبابا أوربان الثامن في روما ، عرض خدماته الدبلوماسية على الكاردينال ريشيليو وانتقل إلى باريس عام ١٦٤٠، وبعد وفاة ريشيليو عام ١٦٤٢ عمل مازارين رئيساً للحكومة، وكان وصياً على عرش الشاب لويس الرابع عشر، ومسؤولاً عن تعليم الملك ، تميزت السنوات الأولى من حكم مازارين بانتصارات عسكرية في حرب الثلاثين عامًا، والتي استخدمها لجعل فرنسا القوة الأوروبية الرئيسية ، وفي عام ١٦٥٩ حصل على لقب دوق ريثيل الأول. توفي عام ١٦٦١.للمزيد ينظر: (Encyclopedia Britannica, 1910, pp. 17/940-941).

[٣]لويس الرابع عشر (١٦٣٨-١٦٤٣/١٧١٥-١٧١٥) : ولد في ٥ أيلول/ سبتمبر ١٦٣٨ سمي عند الولادة باسم (لويس هبة الله) لان الملك لويس الثالث عشر بقي ثلاث وعشرون عاما بدون وريث للعرش، وسمي عند التعميد لويس ديودوني **"Louis Dieudonné"** بمعنى (هدية الإله) لقب بلويس الكبير أو الملك الشمس، بدأ بممارسة حكمة منذ عام ١٦٤٣، عرف عنه تمسكه بمفهوم الحق الإلهي للملوك وبذلك حكم فرنسا، وفي أثناء عهده أصبحت فرنسا من القوى الأوروبية الكبرى ، كما استطاع من توسيع الممتلكات الفرنسية. توفي عام ١٧١٥. للمزيد ينظر:.(Sturdy, 1998, pp. 1-13)

[٤] نيكولاس فوكيه (١٦١٥-١٦٨٠): سياسي فرنسي ولد في باريس عام ١٦١٥ كان والده أحد مالكي السفن الأثرياء ومسؤول ملكي، وكان نيكولاس من مؤيدي الكاردينال مازارين والحكومة الملكية أثناء اضطرابات حروب الفروند، وكان يطمح في الحصول على منصب رئيس البرلمان في باريس، الا أنه عين مسؤولاً ومشرفاً على الشؤون المالية في فرنسا للمدة (١٦٥٣-١٦٦١) في عهد لويس الرابع عشر، وأكتسب من خلال منصبه ثروة كبيرة أدت إلى اتهامه باختلاس المال العام فتم طرده من وظيفته، فعاش في مدينة بينيرولو" Pinerolo" الايطالية وبقي هناك حتى وفاته عام ١٦٨٠. للمزيد ينظر: (Levi, 2004, p. 104).

[٥]دي ليون (١٦١١-١٦٧١) : هو من اسرة تنتمي الى طبقة النبلاء ، تلقى في سن مبكر تدريبات في السياسة الدولية ، تم تعينه مستشارا للشؤون الخارجية عندما اصبح الكاردينال مازارين رئيسا للوزراء ، ووضع ليون الاسس الدبلوماسية التي مكنت الملك لويس الرابع عشر من بدء حروب الفتح ضد الاسبان (حرب نقل السلطة) ، وفي عام ١٦٦٥ تفاوض ليون على معاهدة جبال البرانس التي انهت حربا استمرت اربعة وعشرون عاما مع اسبانيا. للمزيد ينظر: (Bertrand, 1929, p. 55).

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

لوتريه ثم ابنه الماركيز دي لوفواز **Marquis de Louvois**[٦] في الشؤون الحربية. وقد كان هؤلاء على علاقة قوية مع الملك لويس الرابع عشر، وبذلك شغل كولبير منصب المراقب العام للمالية في المدة (١٦٦١-١٦٨٣) ووزير الدولة للبحرية للمدة (١٦٦٨-١٦٨٣) .(Romier, 1953, p. 249)

بحكم خبرت كولبير السابقة في الشؤون المالية ، وجه اهتمامه إلى إصلاح الناحية المالية. وكان كولبير قد ورث عن مازارين وفوكيه تركة مثقلة بالأعباء ، فالحالة المالية كانت قد صارت إلى ما كانت عليه من سوء أيام دوق سولي **Duke of Sully**[٧] واتخذ كولبير إجراءات جريئة ولكنها كانت فعالة في خفض الفوائد على الديون دون أي مراعاة للثقة العامة في الحكومة أو لمصالح بعض الأفراد وكانت المصلحة العامة هي هدف كولبير، فألفى عدداً من الوظائف التي لا حاجة للدولة إليها وأعاد نظام الكاردينال ريشيليو [٨] **Cardinal Richelieu** في حكم الأقاليم **Intendants** أما ضريبة التايل **Thai** [٩] **Tax**، أبغض الضرائب إلى الشعب ، وكان عبئها يقع على عاتق الطبقات الوسطى وما

---

[٦] الماركيز دي لوفواز (١٦٤١-١٦٩١) : ولد في ١٨ كانون الثاني ١٦٤١ ، وهو وزير الحرب الفرنسي ، ويعد من اكثر رجال الدولة الفرنسية شهره تحت حكم الملك لويس الرابع عشر والأكثر نفوذا وساهم مساهمة كبيرة في إعادة تنظيم الجيش الفرنسي ، في عام ١٦٦٥ منحه الملك حق التوقيع على جميع الأوراق ، جاء أول اختبار مهم له في حرب الوراثة (١٦٦٧-١٦٦٨) بين فرنسا وإسبانيا عندما رافق الملك في الحرب ، ومع وفاة كولبير عام ١٦٨٣ هيمن لوفواز بشكل متزايد على شؤون الدولة ، وغالبا ما كانت علاقة لوفواز بالملك متوترة وكان له الدور الاكبر في غزو ولاية البلاتين عام ١٦٨٨ ، وشارك في الانتصارات الاولى لحرب التسع سنوات لكنه مات فجأة اثر سكتة قلبية في ١٦ تموز ١٦٩١. (Encyclopedia Britannica, 1910, p. 17/69).

[٧] دوق سولي (١٥٦٠-١٦٤١) : وهو ماكسيميليان دي بيتون رجل دولة فرنسي ، ومستشار الملك هنري الرابع، كان له دور في بناء نظام إداري مركزي قوي في فرنسا وساهم بشكل كبير في إعادة تأهيل فرنسا بعد الحروب الدينية، كما قام بتعديل النظام الاقتصادي.للمزيد ينظر: .(Kamen, 2000, pp. 283-284)

[٨] الكاردينال ريشيليو (١٥٨٥- ١٦٤٢) : من أبرز رجال الدولة والسياسة في فرنسا ، اصبح اسقفا عام ١٦٠٧ ثم وزير للخارجية عام ١٦١٦ ثم اصبح الوزير الأول (رئيس الوزراء) عام ١٦٢٤ في عهد ملك فرنسا لويس الثالث عشر، وكان ممن اشتهروا بالدهاء والحنكة ، وعمل على تثبيت أركان الدولة ، وفرض سلطة الملك على النبلاء، وتوسيع نفوذ بلاده خارج أوروبا واستطاع ان يقود فرنسا نحو الظهور كدولة عظمى توفي عام ١٦٤٢.للمزيد ينظر: .(Encyclopedia Britannica, 1910, pp. 23/303-304)

[٩] ضريبة التايل: وهي من اقوى الضرائب التي فرضها الملك لويس الرابع عشر، على عامة الشعب بمعدل ثلث السكان وهذا الثلث هو الأكثر بؤساً وفقراً، باستثناء رجال الدين والنبلاء والمسؤولين الحكوميون فرضت الضريبة عام ١٦٦٧، اذ حددت الحكومة المبلغ الإجمالي على شكل دفعات مقسمة بين المناطق والأبرشيات في المقاطعات الفرنسية، اما جمعها فكان من قبل القرويين البارزين الذين كانوا مسؤولين امام الملك عن السداد الكامل، فرضت الضريبة بقسوة وكان من لا يدفعها يعاقب بالسجن وفي عام ١٦٧٩ قيل ان هناك اربع وخمسون شخصاً سجنوا في تورز "**Tours**" وحدهم لانهم تلاعبوا بالضرائب، ففر الكثيرون من دفعها والسبب في ذلك فقرهم لهذا لم تساهم التايل في تحسين عمل الزراعة والصناعة وعلى الرغم من تحديد مبلغ الضريبة إلاَّ أنَّ العقارات المحلية كانت لها بعض التأثير في تقيمها على المقاطعات والأفراد ولهذا السبب فحص كولبير جميع متطلبات الإعفاء وأعاد إلى صفوف الخاضعين للضريبة عدد كبير من الذين فروا تحت ذرائع مختلفة، ولكن قبل كل شيء أصر كولبير على الأشراف الدقيق على جمع ضريبة التايل في كل مرحلة من مرحلها وحث على مراقبة جامعي الضرائب وأعطى المكافآت لأولئك الذين جمعوا الضريبة باقل تكاليف وعاقب الأكثر إهداراً . للتفاصيل ينظر: (قدوري، ٢٠٢٢، صفحة ٧٧) .

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

دونها ، فقد خفضت. ولكن الفلاحين لم يستفيدوا من ذلك كثيراً إذ عوضت الخزانة عن النقص الناتج من تخفيض ضريبة التايل بفرض ضرائب أخرى على السلع الاستهلاكية، وهذه خضعت لها كل طبقات الشعب وبواسطة هذه الإجراءات، التي تحمل طابع الاستبداد والتي لم تكن محببة إلى الشعب بحال أمكن لكولبير أن يضاعف دخل الملك في ظرف ست سنوات (١٦٦١ – ١٦٦٧). ومع ذلك فإصلاح كولبير المالي لم ينجح تماما، فالأخطاء السابقة كانت راسخة الجذور في النظام الاجتماعي، كما أن حروب الملك الفرنسي في القارة أوجدت فرض ضرائب فادحة. ولم تكد تقوم حروب الملك لويس الرابع عشر حتى فرضت الضرائب المباشرة وغير المباشرة.(Kurtzleben, 1997, pp. 22–23)

وإذا كانت لم تبذل عناية للنهوض بالزراعة في فرنسا في القرن السابع عشر، رغم وفرة عدد السكان وخصب الأراضي الفرنسية، فقد أحرزت الصناعة تقدماً ملحوظاً في النصف الثاني من ذلك القرن بفضل إدارة كولبير سوف يتم إيضاح ذلك في المحور الثالث. وفي ذلك المجال نلحظ تدخل الدولة في الصناعة وإدارتها وحمايتها لها. وهذا كان ضرورياً نظراً لأن البرجوازية الفرنسية لم تكن تستثمر أموالها في هذا النوع من الأعمال ، وكانت تفضل الأراضي والوظائف.(Carsten, 1961, p. 4)

كما كانت باريس قبل عهد كولبير أقل مدن العالم أمناً وسلاماً ، إذ انتشرت فيها ظاهرة التسول وبشكل مفزع في كل مكان، وعلى هذا الاساس ألف كولبير جهاز بوليسي خاص جمع المتسولين، وأوجد لهم أعمالاً يكتسبون منها، وبتشجيع من الملك قام بإنشاء المستشفيات والمصحات التي جعلها على عاتق الكنيسة تنفق عليها من ريع الأملاك المخصصة لها، وقام بإضاءة باريس كلها، إذ لم يكن فيها إلا شمعة واحدة موضوعة في مصباح مقام في إحدى الميادين.(Livet, 1956, p. 13)

كما قام كولبير بجمع كل القوانين في محاولة تنظيم القانون الفرنسي في مجموعة واحدة منسقة سميت باسم قوانين لويس **Laws of Louis** [١٠]، وقد عُدَّت تلك الأيام أيام تصفية الحساب مع الفاسدين والخارجين عن القانون، وقد تزامن مع تلك الإصلاحات موت أبرز أولئك المستبدين الخارجين عن القانون وهو دوق ابيرنون**Appernon** الذي كان برتبة كولونيل**Colonel** وأحد قادة سلاح المشاة، المشرف العام، وقد أحدث موته فرصة كبيرة للإصلاح.(Livet, 1956, p. 14)

[١٠]قوانين لويس: وهي مجموعة من الشرائع المحكمة الوضع، تناولت الإجراءات المدنية والجنائية، والتجارة والبحرية، وزنوج المستعمرات (قانون السود)، وتحريم المستعمرات على اليهود والبروتستانت، على ان تشريع ذلك العصر له أهميته، ليس فقط باعتباره اول خطوة مهمة نحو وحدة فرنسا التشريعية، بل أيضا لأنه وضع الخطوط الرئيسة التي لا تزال الإجراءات في محاكم فرنسا تسير بمقتضاها، ولم ينجح كولبير في جمع الشرائع الفرنسية كلها في دستور واحد. للمزيد ينظر: (قدوري، ٢٠٢٢، صفحة ٧٨).

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

وكان لتأسيس أكاديمية النحت والرسم في باريس عام ١٦٤٨ أثر على تطور الحياة الفنية، لكن عدم تفعيلها في تلك المدة أدى إلى خمولها وتراجعها وصولاً إلى عام ١٦٦١ عندما أوعز الملك باستئناف العمل بها ووجه بإرسال عدد من الفنانين إلى إيطاليا لاطلاعهم على تقدم الفنون هناك، ولأهمية الموضوع كلف الملك كولبير لمتابعة تلك الأكاديمية بنفسه وتزويدها بكل احتياجاتها.(lavisse, 1989, p. 87)

لم يكتفِ كولبير بذلك بل شرع بتأسيس أكاديمية أخرى عام ١٦٦٤ الأمر الذي وجد استحساناً وقبولاً لدى الفنانين، وقد رأى فنانو الأكاديمية أنَّ الجانب المؤثر للفنون يكمن في إنشاء مجتمع أخلاقي وفكري في الوقت الذي كانت فيه رؤية الفنان هي الابتكار والإصلاح في الفنون وكانت رؤية كولبير تميل إلى استعمال الفنون لأغراض سياسية في طبيعتها، والتي كانت مفيدة بشكل خاص لمؤيدي الملك لويس الرابع عشر بمجرد حصوله على تأييد الأغلبية، ومن ثمّ أعتمد الملك على الأكاديمية لبناء دولته، في حين اعتمدت الأكاديمية على الملك للحصول على دعم وترقيات.(Livet, 1956, p. 15)

ولم يكتفِ كولبير بأكاديمية الرسم والنحت، واستطاع أقناع الملك لويس الرابع عشر بإنشاء أكاديمية في روما، وتم شراء قصر في العاصمة ليقيم فيه رئيس الأكاديمية، وأرسل التلاميذ الذين حصلوا على جوائز في أكاديمية باريس إلى هناك لغرض الدراسة، وتكفل الملك بدفع نفقات الرحلة ورسومها، ونسخوا هناك الأعمال الفنية القديمة ، وسعوا إلى دراسة فن العمارة وسبل افتتاح قسم خاص له في باريس وقد برز بهذا الجانب عدد من الفنانين الفرنسيين، دعمت الأكاديمية الفرنسية للنحت والرسم في مدة حكم الملك لويس الرابع عشر صناعة النسيج، فاتخذت تلك الصناعة موقعاً متقدماً بزعامة كولبير، وكانت أبرز الصناعات التي تم تركيز الإبداع الفني عليها، أقمشة الحرير المطبوعة، والأقمشة المزخرفة، وفرش الأرضيات وأوراق تغليف الجدران، والأقمشة القطنية، ويعد مصنع غوبلن **Gobelin** الأكثر شهرة، إذ اشتراه كولبير لصالح المملكة، وقد ضمّ المصنع مئات الفنانين والحرفين لإنتاج أفضل الأنسجة المزينة بالرسوم والصور (Gourdault, 1876, pp. 97–100).

عَدَّ الكثير من المؤرخين إنشاء الأكاديمية الملكية للعلوم حدثاً تاريخياً فاصلاً بالتاريخ العلمي الفرنسي، إذ تحولت تلك المؤسسة إلى راعي رسمي لمعظم العلماء والمخترعين في المملكة لاسيما وأنها حظيت بدعم مباشر من قبل الملك لويس الرابع عشر ومتابعة شبه يومية من قبل كولبير، وقد سعى الأخير لتنظيم عملها بصورة خدمت البلاد، إذ قام في عام ١٦٦٧ باختيار أعضاء الأكاديمية القياديين لتيسير أمورها بطريقة واكبت روح الحضارة

آنذاك، وقام بوضع أقسام للعلوم بعد أن كانت تتسم بالاندماج فيما بينها، ومنحهم الحرية التامة بإجراء المناظرات العلمية والتعبير عن آرائهم وأفكارهم بصوت عال، بشرط عدم المساس بالقضايا السياسية والدينية التي تهدد كيان المملكة (Saunders, 1985, pp. 24-25).

حاول كولبير وضع إضافات أخرى على هذا النوع من التعليم، إذ ركز على مسألة التعليم الزراعي فقد خصص جزءاً من دروس تلك المدارس والأماكن غير الرسمية لإعطاء محاضرات عن الطريقة الأفضل للزراعة في المملكة، مما أسهم في تعليم أعداد كبيرة من أبناء الطبقة الفلاحية الفقيرة، وشهد ذلك النوع من التعليم طرقاً أخرى تمثلت بترديد الأغاني وقراءة الصحف والكتيبات وكتابة الرسائل

ثالثا: جهود كولبير في دعم الاقتصاد الفرنسي على الصعيد الدولي.

١. دعم كولبير للنشاط التجاري والصناعي.

لم يقتصر نشاط كولبير على الجانب السياسي والاقتصادي داخل فرنسا فقط بل امتدت يد كولبير إلى إصلاح العديد من الجوانب الحيوية، كالبحرية والتجارة والمستعمرات والصناعية والقانون ، لذلك أدرك كولبير أهمية البحرية والتجارة والمستعمرات ، أو أهمية الادارة المالية السليمة وتحسين وسائل المواصلات ، وأن قوة الدولة إنما تقاس بالصناعة والتجارة والزراعة ومجهودات الشعب ، وقد كانت فرنسا متخلفة في ميادين التجارة والصناعة بسبب سوء المواصلات والحواجز الجمركية الداخلية ، واختلاف القوانين والأوزان والأحجام ، وعدم إقبال الطبقة الوسطى على القيام بمشروعات تجارية ، ولا سيما ما كان منها خاصاً بما وراء البحار، وإقبالهم وتعودهم على شراء الوظائف الحكومية ، واستغلال أموالهم في الإنتاج ، وأخيراً كانت الضرائب المرهقة تسهم أيضاً في إحداث ذلك التخلف (Lough, 2008, p. 241).

سعى كولبير إلى توسيع مجال الصناعة ليجعل فرنسا تكتفي ذاتياً قدر الإمكان. وكان الأمر يتطلب أموالاً وقوة منتجة أكثر مما تملك النقابات في ذلك الوقت. فأنشأ كولبير عدداً من المصانع مثل مصانع السجاد في باريس التي كانت تملكها الدولة. كذلك كانت هناك مشروعات خاصة تحمل نفس الاسم، أوجدها كولبير بأن منح أصحابها المساعدات، وهذه كانت على شكل قروض بلا فوائد.(Lough, 2008, p. 242)

كما بذل كولبير كل ما في وسعه من جهد لزيادة وتوسيع نطاق الصناعة الفرنسية وتنوعها. فمن صناعة الأقمشة إلى التعدين والمصنوعات الحديدية، ذلك لم يغفل أمر احتياجات الجيش والأسطول من السفن والأسلحة. وهو يستورد لذلك الآلات من الخارج وما

يلزم لكل صناعة ، كما قام باستقدام الصناع المهرة لكل صناعة، وعمل على زيادة الإنتاج كما قام بإلغاء عدد كبير من أعياد الكنيسة التي كانت تعوق الانتاج (Lough, 2008, p. 243).

ولكي يحمي كولبير هذه الصناعات الجديدة من المنافسة الأجنبية، وضع تعريفات جمركية جديدة على السلع المستوردة عام ١٦٦٤ ولم يلبث أن ضاعف هذه التعريفة عام ١٦٦٧ ليحطم الهولنديين، وكانوا أكبر منافسين للاقتصاد الفرنسي. وقابلت هولندا هذه المعاملة بالمثل. وهذه الحرب الكمركية بين البلدين انتهت إلى إعلان الملك لويس الرابع عشر الحرب على هولندا عام ١٦٧٢، وقد كانت الحرب الطويلة ذات أثر سيء في سياسة كولبير الاقتصادية والمالية ، وبناءً على رغبة جميع الأطراف باللجوء للسلام تمخض من ذلك إعداد معاهدة السلام النهائية في آب/ أغسطس 1678 لإنهاء الحرب بين هولندا وفرنسا والتي أطلق عليها سلام نيميجن **Peace of Nijmegen** (archives et manuscrits, p. 45)واضطرت فرنسا بموجبها إلى تخفيض التعريفة الجمركية. وعلى أي حال، يمكن القول أن كولبير نجح في ميدان الصناعة، وعلى الأخص فيما يتعلق بزيادة الإنتاج وتنوعه داخل فرنسا، وحافظ على الحالة الاقتصادية.

كذلك نجح كولبير في زيادة دخل الدولة عن طريق إجراءات اتخذها لزيادة الثروة القومية ولكن من ناحية أخرى فقد كان لنظام كولبير أضراره على فرنسا ، إذ ضحى بمصلحة المستهلك لصالح المنتج ، كما تعود المنتج أن يعتمد على الدولة الفرنسية أكثر من اعتماده على خبراته.(Minard, 2008, p. III)

٢. دور كولبير في تأسيس شركة الهند الشرقية الفرنسية

لم يغفل كولبير عن ثروة إنكلترا وهولندا التي اكتسبوها عن طريق شركاتهم التجارية مثل شركة الهند الشرقية الانكليزية **The English East India Company**[١١]وفكر كولبير في تكوين امبراطورية بحرية عظيمة وتجارة عالمية تقوم بها شركات فرنسية. وكان يأمل في أن تصبح تابعة لفرنسا، وفي حفر قناة تصل البحرين الأحمر بالمتوسط، وامتلاك سلسلة من القواعد البحرية على الطريق. البحري إلى الهند والشرق الأقصى (Fisher, 1960, p. 674). كما منح حق احتكار التجارة الفرنسية مع الشرق فأسس عام ١٦٦٤ شركة الهند الشرقية الفرنسية **Companie des Indes Orientales** ، كذلك أسس شركات أخرى مشابهة ، وذلك للتجارة مع امريكا وافريقيا وشرق المتوسط وشمال

[١١]شركة الهند الشرقية الانكليزية : شركة تجارية تأسست بموجب الميثاق الملكي الذي منحته الملكة اليزابيث الاولى في ٣١ كانون الاول ١٦٠٠ لتجار لندن للمتاجرة مع جزر الهند الشرقية (حسين، ٢٠٢٤، صفحة ١٤٠).

أوروبا. وعلى الرغم من أن الملك والأمراء قد ساهموا في رؤوس أموال تلك الشركات، فإن الطبقة المتوسطة وعامة الفرنسيين لم يشاركوا وزيرهم حماسه، وأحجموا عن الإسهام في هذه المشروعات والمخاطرة أموالهم في مغامرات عبر البحار بدأ نجاحها في أنظارهم أمراً مشكوكا. وكان ذلك سبباً في فشل هذا المشروع ، فسحب كولبير امتياز الاحتكار من شركة الهند الشرقية الفرنسية وترك التجارة مع جزر الهند الشرقية مفتوحة لكل التجار بشرط استخدام سفن الشركة ومحطاتها التجارية (Lough, 2008, p. 244) . حمل كولبير نبوغاً كبيراً في المجال الاقتصادي وتعد السنوات من ١٦٦٤– ١٦٧٢ سنواته الذهبية، وعلى هذا فقد قام بإصلاحات عمرانية كان لها أثرها في حياة الشعب.

ومن مشروعات كولبير الكبيرة بعد توليه منصب وزير الدولة للبحرية عام ١٦٦٨ تحسين وسائل المواصلات الداخلية فأنشأ قناة تصل المحيط الأطلسي بالبحر المتوسط تسمى قناة البحرين **Canal des deux Mers**. وبفضل هذه القناة إلى جانب المساعدات التي كان يمنحها لأصحاب السفن ، نتجت هذه الزيادة في بناء السفن والتجارة فيما وراء البحار ، ولا سيما شمال أوروبا وإسبانيا وشرق البحر المتوسط ومع المستعمرات واحتلت فرنسا مكانها إلى جانب انكلترا وهولندا(Gourdault, 1876, p. 66) ؛ (محمد ، ٢٠١٥، صفحة ٨).

وعلى الرغم من أن القوانين الفرنسية التي وضعت لتنظيم الحياة في المستعمرات ، لم تكن تساعد على نمو هذه المستعمرات لتجاهلها عنصر الحرية ، بعكس الحال في المستعمرات الانجليزية في أمريكا ، فقد دفع كولبير في الواقع بحركة الاستعمار الى الأمام وتدين فرنسا في ذلك الميدان بالكثير إلى نشاط كولبير ، إذا كان ملك فرنسا لويس الرابع عشر لم يكن يرغب في هجرة الفرنسيين إلى كندا لتعميرها حتى لا تحرم فرنسا الأم من أبنائها ، فإن أحد المسؤولين الفرنسيين في كندا استطاع عام ١٦٧٠ إقناع كولبير ببدء عمليات التوسع الفرنسي في كندا ، وحصل على تأييد متواضع لمشروعاته التوسعية هناك لتأخذ الأطماع التوسعية الفرنسية في العالم الجديد شكلاً محدداً ورسميا، ويستطيع البحار لاسال La Salle التوغل جنوباً من بحيرة أونتاريو ويصل في نيسان/ أبريل ١٦٨٢ إلى خليج المكسيك عن طريق المسيسيبي ، ويعلن امتلاك هذه الجهات باسم فرنسا ، ويطلق اسم لويزيانا **Louisiana** عليها.(Rich, 1967, p. 362)

وهكذا كانت قوة فرنسا تكمن في ضعف جاراتها، وقوة مواردها وفي ثروتها وسكانها، وكان عدد سكان فرنسا يبلغ ثمانية عشر مليوناً. وقد مكن هذا العدد من السكان من إقامة جيش من مائة ألف مقاتل ، وهذا العدد كان يزيد في زمن الحرب ، وأدخل كولبير اصلاح

نظام المشرفين على الجيش **Intendants de l'Armée** الذي أعاد النظام المالي للجيش، وفرض الجزية على البلاد المحتلة .(Gourdault, 1876, p. 67)

فتطور الجيش الفرنسي ولم يعد يتكون من وحدات شبه مستقلة، بل صار في الطريق إلى أن يصير جيشاً قومياً رغم أنه كانت هناك فرق أجنبية مرتزقة تخدم فيه وعلى الرغم من أن قوة فرنسا ومجهودها الحربي ظل مركزاً في أوروبا وعلى الأرض، فقد خلق كولبير اسطولاً جعل فرنسا ثالث دولة بحرية في الأطلنطي وأولها في البحر المتوسط. ونظام الخدمة العسكرية الإجبارية في الأسطول **Inscription Maritime** بالنسبة لكل البحارة جعل الأسطول الفرنسي يتفوق على منافسي(Carsten, 1961, pp. 3-4) ؛ (جار الله ، ٢٠١٥، صفحة ١٣١). وبهذا الأسطول كانت فرنسا ترغم أساطيل الدول الأخرى على البدء بتحية سفنها وإلا لجأت فرنسا إلى مهاجمة سفنهم. وكان كولبير يشير إلى الملك لويس الرابع عشر: "إن فرنسا تريد أن تنحني لها الدول الأخرى احتراماً في البحر كما في بلاط الملك" (Zeller, 2008, p. 202).

كما أسهمت جميع تلك الفرص الرسمية وغير الرسمية في زيادة عدد الرجال الذين يمكن أن يطلق على أنفسهم متعلمين ، أدى كولبير دوراً فعالاً داخل تلك المؤسسة لاسيما أنهَّ حاول كثيراً تعزيز مكانة فرنسا البحرية لذلك طالماً اهتم بعلم الرياضيات والميكانيك والفلك ببناء المرصد الفلكي في باريس، كما طور علم الملاحة الذي واجه مشكلة كبيرة آنذاك تجسدت بإتقان حساب خطوط الطول مما أدت في كثير من الأحيان إلى إعطاء إحداثيات خاطئة غيرت كثيراً من الخطط الموضوعة سواء للرحلات العسكرية أو التجارية (lavisse, 1989, p. 90).

وبالرغم من إسهامات المفكرين السابقين في تقديم أفكارهم الاقتصادية ، لكن يبقى ذكر الماركنتلية **Mercantilism** [١٢]الفرنسية مقترنا بشكل كبير باسم وزير المالية كولبير، بالرغم أنه لم يترك مؤلفات تعبر عن أفكاره ، ولكنه عمل كرجل دولة على تطبيق سياسة تصنيعية بفرنسا ، وكان يعتقد بأن وفرة المعادن الثمينة في الدولة دليل على قوتها وبأن زيادة كمية المعادن في دولة معينة غير ممكنة إلا على حساب الدول الأخرى ، ولذا لا يمكن زيادة النقود في فرنسا إلا بأخذ الكمية نفسها من دول مجاورة. ولذلك تركزت جهود كولبير التجارية على مجموعتين من التدابير:(Saunders, 1985, pp. 26-30)

[١٢] المذهب الماركنتلي : نظام اقتصادي شاع في أوروبا ما بين القرن الخامس عشر والسابع عشر ، أي في مرحلة تفسخ النظام الاقطاعي وبداية النهضة الأوروبية ، يهدف الى تنظيم الشؤون الاقتصادية من تجارة وصناعة واحتكارات خارجية من قبل الدولة ، ويقوم على اساس ان الفضة والذهب هما عماد الثروة بالنسبة للدولة ، ولهذا يجب توفيرهما بكميات كبيرة في خزينة الدولة لزيادة هيبة الدولة ورخاء وأمن البلاد وزيادة الواردات للخزينة.(Teschke, 2003, p. 198)

١. وضع قواعد لتنظيم الإنتاج تضمن تحسينه وتزيد قدرته على المنافسة.
٢. وضع قواعد الحماية الجمركية إزاء السلع الأجنبية.

كان كولبير يركز كل الاهتمام على دعم الصناعة، وتحسين جودة الإنتاج الصناعي، وتوفير كل الشروط المواتية لتقوية الصناعة الفرنسية، فالصناعة في رأيه هي المرتكز الأساسي لزيادة الصادرات، أما دور الزراعة فيقتصر على إنتاج المواد الغذائية للسكان وتوفير المواد الأولية لتوسيع الصناعة. ومن أجل ذلك اتخذ كولبير الإجراءات والتدابير الآتية والتي تسهم بشكل فعال في زيادة الإنتاج:(Gourdault, 1876, p. 72)

١. إقامة مصانع ملكية لضمان زيادة الإنتاج وتحسينه.
٢. منح المساعدات والإعفاءات الضريبية للمصانع القائمة.
٣. فرض أسعار متدنية على المواد الغذائية للإبقاء على الأجور منخفضة، وتوفير يد عاملة رخيصة وفرض أسعار متدنية على المواد الأولية ومنع تصديرها لتوفيرها للصناعة بتكلفة متدنية.
٤. فرض الحماية الجمركية لمصلحة الإنتاج الوطني وإعفاء المواد الأولية اللازمة للصناعة الوطنية.
٥. إقامة المنشآت البحرية وتوسيع الأسطول وفرض رسوم إضافية على السفن الأجنبية بنسبة حمولتها عند رسوها في الموانئ الفرنسية.
٦. تأسيس شركات تجارية كبيرة لتصريف المنتجات الصناعية في الخارج.

مات كولبير عام ١٦٨٣ بعد أنْ خدم الدولة الفرنسية كوزير لمدة عشرون عاماً (Gourdault, 1876, p. 259)، ونرى في تلك الخدمات التي قدمها كولبير أن نفوذ الحكومة المركزية في كل نواحي الحياة كان ملموساً. وهذا النمو السريع المفروض بالقوة لم يكن ليستمر طويلا، إذ إنه لم يعتمد كثيراً على نشاط الفرد واستقلاله. ولكن مهما كانت أوجه النقص في هذه السياسة فقد كانت السنوات الأولى من حكم الملك لويس الرابع عشر من أكثر السنوات ازدهاراً في التاريخ الفرنسي، كانت فرنسا خلالها تتمتع بالسلم في الداخل والخارج.

الخاتمة

١. تعد شخصية كولبير من الشخصيات التي تمتاز بالقوة والشجاعة، وأصبح بعد موت مازارين الوزير الرئيسي للملك لويس الرابع عشر، وكانت باكورة أعماله إصلاح مالية الدولة، فقد طَرَدَ من الخدمة كل من عُرِفَ بالخيانة في جباية الضرائب، وفرض رسوماً غير مباشرة على البضائع حتى يتوزع عبء الضرائب على جميع الطبقات وليست الطبقة

العامة، وخفف من الضرائب المباشرة على الأرض ليخفف العبء المالي على الفلاحين، وشجّع تربية الحيوانات، وأصلح الطرق ووسائل المواصلات.

٢. كانت إجراءات كولبير السياسية ضئيلة نوعا ما ويعود السبب في ذلك إلى أنَّ الجهود الرئيسة التي بذلها كانت موجهة نحو التنمية التجارية والصناعية.

٣. ازدهرت الفنون في جميع المجالات في عهد كولبير، كما جاءت تلك الفنون لتؤكد السلطة المطلقة لفرنسا، إذ كان كولبير يمد رجال الآداب والعلم بالمال من خلال توفير الرواتب، إذ أثروا في مجالات الحياة وأخذوا يعالجون عدة موضوعات، وكشفت تلك الأعمال عيوب المجتمع الباريسي ومنها البؤس والضعف البشري، وتضمن هذا العصر ظهور العديد من المذاهب الأدبية.

٤. وإلى جانب تلك المتغيرات إنشأ كولبير عدداً من البرامج والمعاهد لزيادة الفنون في الثقافة الفرنسية.

٥. كما قام بزيادة عدد المتعلمين في فرنسا، يعود السبب في ذلك إلى زيادة الفرص التعليمية عن طريق فتح المدارس بأعداد كبيرة وجعل تعليم الطبقة الفقيرة مجاناً، وأصبح الشعب الفرنسي مهتماً بالمسائل الفكرية كافة حتى أصبحت فرنسا في القرن السابع عشر تقود ثورة فكرية امتدت إلى أوروبا.

٦. شهدت فرنسا تطوراً علميا كبيراً وذلك من خلال اهتمام كولبير بإنشاء أكاديميات للعلوم، والاختراعات العلمية، وجعل تلك الاختراعات مع الأكاديميات عبارة عن مؤسسات تعود بالدرجة الأولى إلى شخص الملك لويس الرابع عشر، إذ كرست كل منها بمهمة محددة ومسؤولة أمام مؤسسة حكومية معينة، ويتم التحقيق منها بالنسبة للجودة والكفاءة.

٧. بالرغم أنه لم يترك مؤلفات تعبر عن أفكاره، ولكنه عمل كرجل دولة على تطبيق سياسة تصنيعية بفرنسا، وكان يعتقد بأن وفرة المعادن الثمينة في الدولة دليل على قدرتها وقوتها وبأن زيادة كمية المعادن الثمينة في دولة معينة غير ممكنة إلا على حساب الدول الأخرى.

٨. أمَّا فيما يتعلّق بتشجيع التجارة داخل فرنسا، فإنَّه عمل على تسهيل انتقال البضائع بين أنحاء البلاد المختلفة، وذلك بتسهيل المواصلات، وأسَّس المدارس والمستودعات، وأنشأ السفن الحربية، ودعم أكاديمية العلوم وبَنى المرصد الفلكي في باريس.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

المراجع

Encyclopedia Britannica. (1910). New York: Madison Avenue.

archives et manuscrits. (n.d.). *Documents inédits , La Diplomatie Francaise au Temps de Louis XIV 1661-1715.*

Bertrand, L. (1929). *Life of Louis XIV Per sonality.* New York: Louis Carrier.

Carsten, F. (1961). *The New Cambridge Modern History* (Vol. 5). Cambridge: Cambridge University Press.

Fisher, H. (1960). *A History of Europe.* Fontana Library.

Gourdault, J. (1876). *Colbert: Ministre De Louis XIV (1661-1683).* TOURS: ALFRED MAME ET FILS, ÉDITEURS.

Kamen, H. (2000). *Who's Who In Europe 1450-1750.* London: Rutledge.

Kurtzleben, J. (1997). The Economic Policies of Jean-Baptiste Colbert. *Board of Student Publications, 9*(3).

lavisse, E. (1989). *Louis XIV,edicion abreviada,pillorget laffont.* Paris.

Levantal, C. (1996). *Louis XIV.* Paris.

Levi, A. (2004). *Louis XIV.* London: Da Capo Press.

Livet, G. (1956). *Louis XIV (1648 – 1715).* Paris.

Lough, J. (2008). *French Under Louis XIV.* Cambridge: Cambridge University Press.

Minard, P. (2008). The Market Economy and the French State : Myths and Legends around Colbertism. *École des hautes études en sciences sociales.*

Reddaway, W. (2005). *A History of Europe 1610-1715.* London: Routledge.

Rich, E. (1967). *Europe and North America.* Cambridge: Cambridge University Press.

Romier, L. (1953). *A History of France.* New York: St. Martin's Press.

Saunders, E. S. (1985). *Politics and scholarship in seventeenth century France.* Paris: The Librart of Nicolas.

Sturdy, D. (1998). *Louis XIV.* U.K.: Macmillan Press Ltd.

Teschke, B. (2003). *The Myth of 1648: Class, Geopolitics, and The Making of Modern International Relations.* London: Verso.

Zeller, G. (2008). *French Diplomacy and Foreign Policy in Their European Setting.* Cambridge: Cambridge University Press.

رنا عبد الجبار حسين. (٢٠٢٤). نشاط شركة الهند الشرقية الفرنسية (١٦٦٤-١٧٦٩) قراءة: في أهمية التنافس التجاري في السياسة الاستعمارية للدول الكبرى في الشرق. مجلة المستنصرية للعلوم الانسانية، ٢.

صالح خضر محمد . (٢٠١٥). دور الدبلوماسيين البريطانيين المقيمين والملحقين العسكريين والتجاريين في متابعة الأنشطة التهريبية في الخليج العربي ١٨٨٠- ١٩١٤. مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية، ١٠(١).

طالب عبد الغني جار الله . (٢٠١٥). حصار نابليون لعكا دراسة تاريخية. مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية، ١٠(١).

لقاء منذر قدوري. (٢٠٢٢). لويس الرابع عشر دراسة في الاوضاع الداخلية في فرنسا. عمان: دار ورد الاردنية للطباعة والنشر والتوزيع.